Dirosatuna : Journal of Islamic Studies
E-ISSN: 2614-8285
Vol. 7, No. 1 (2024)

رابطة الشيخ الصوفية في العالم الميتافيرس: إمكانيتها ومدى فعاليتها وإشكاليتها

Abdul Munim Cholil
Institut Al-Fithrah (IAF) Surabaya, Indonesia
Email: piyoefadil@gmail.com

Abstract

This article discusses rabitah, where a salik presents the image of the teacher/Rasulullah Saw. as a technique to connect the heart with the murshid, who is considered the "door" of Allah's grace. This kind of meditation is recognized in several orders, including Naqshabandiyah, Syaziliyah, Rifaiyah. The media used is khayal (imagination). As a taqarrub medium for achieving the wisdom of Sufism, the theory of rabithah deserves to be developed with an urgent question: what if the rabithah process takes place in the metaverse? This article tries to answer it. Here we will discuss the significance of the rabithah and the debate about it, the theory of imagination from a Sufi perspective (could the metaverse be a new offer?) as an important medium, does the presence and identity of a Sufi still find existential awareness during the rabithah process or being in the metaverse? Everything will become clear by using Heidegger's existentialist approach. Apart from that, this research will use qualitative research methods.

Keywords: *Rabithah, Sufism, Imagination, Metaverse, Identity*

ملخص البحث

تتناول هذا البحث الرابطة الصوفية، حيث يتخيل السالك صورة الشيخ/رسول الله صلى الله عليه وسلم. كأسلوب لربط القلب بالمرشد الذي يعتبر "باب" فيوضات الله. وهذا النوع من التأمل معروف في عدة طرق منها النقشبندية والشاذلية والرفاعية. الوسائل المستخدمة إبداعية (الخيال). باعتبارها وسيلة تقرب لتحقيق المعرفة الصوفية، تستحق نظرية الرابطة تطويرها بسؤال عاجل: ماذا لو حدثت عملية الرابطة في الميتافيرس؟ هذا المقال يحاول الإجابة عليه. سنناقش هنا أهمية الرابطة والجدل حولها، نظرية الخيال من منظور صوفي (هل يمكن أن يكون الميتافيرس عرضا جديدا؟) كوسيلة مهمة، هل لا يزال حضور وهوية الصوفي يجد وعيا وجوديا أثناء عملية الربطة أو التواجد في الميتافيرس؟ كل شيء سوف يصبح واضحا باستخدام نهج هايدجر الوجودي. بالإضافة إلى ذلك أن المعلومات البيانية في هذا البحث مأخوذة من طريق الكيفية.

الكلمات الأساسية : الرابطة، الصوفية، الخيال، الميتافيرس، الهوية.

المقدمة

إن الرابطة عند الصوفية هي استحضار صورة الشيخ ليحصل المريد السالك المدد، وهي من أقوى الوسائل للوصول إلى الله عند أصحاب الطرق الصوفية: فالنقشبندية مثلا قالت إن الصحبة مع الشيخ من أقوى أسباب الفتوح لأنه باب الله، والفناء في الشيخ مقدمة في الفناء في الله.[1] كما أن الشعراني –من أتباع الشاذلية– اعتبرها كالواسطة بينه وبين الله عند الذكر والرابطة من أكد آداب الذكر.[2]

[1] Ulum, M. (2020). Pendekatan Studi Islam: Sejarah Awal Perkenalan Islam dengan Tasawuf. *Al-Mada: Jurnal Agama, Sosial, Dan Budaya*, *3*(2), 203-217. https://doi.org/10.31538/almada.v3i2.632

[2] الشعراني. عبد الوهاب، الأنوار القدسية في معرفة قواعد التصوف، ت: مكتبة المعارف – بيروت، ١٩٨٨، ص ٣٦

Dirosatuna: Journal of Islamic Studies is licensed under a Creative Commons Attribution-ShareAlike 4.0 International License. DOI: https://doi.org/10.31538/dirosatuna.v7i1.4793

الإستحضار المقصود في الرابطة يكون بطريق الخيال لا بالحواس ولا بالعقل. فالخيال إذا له مكان خاص عند الصوفية، ولكن الخيال الصوفي لا يدخل تحت الفنتاسيا كما قد يتوهمه الفلاسفة، بل هو خيال ذو مفهوم شرعي ودلالة شرعية.

ومن المعلوم أن الخيال الصوفي بقسميه: المتصل والمنفصل عند ابن عربي مبدأه من الواقع. هذا ما يفسح المجال للإلتقاء بعالم الميتافيرس الذي له مبدأ من الواقع أيضا. فهل يقوم الميتافيرس مقام الرابطة عند الصوفي في المستقبل؟ وإلى أي مدى فعالية الميتافيرس في المجتمع الصوفي المعاصر؟ كيف يرى علم النفس هوية الصوفي وحضوره الوجودي أمام الميتافيرس؟

ونحن على يقين على ان لا أحد من الباحثين المعاصرين تطلع مثل هذا الأمر. فهذا البحث إذا، بحث جديد من نوعه يفتح أفقا معرفيا للصوفي وغيره ممن له إلمام بتقدم التكنولوجيا والعلم. سيما أن الصوفية معروفون بجمودهم أمام المعاصرة وتحديها مع أن لهم قابلية خاصة لدى المجتمع الذي سادت فيهم المادية واللامبالاة بما وراء المادة.

هذا البحث يأتي بمقاربة وجودية هيدقيرية مع الحوض في أعماق الشعور الصوفي عند عملية الرابطة بطريق الخيال الخلاق الذي تم إرساء نظريته على يد الشيخ الأكبر، حتى يتسنى للقارئ أن يفهم العالم الصوفي والعالم الميتافيرس معا بوجه صحيح دون أن يتجافى على واحد منهما.

فيتكون هذا البحث من الفصول التالية: **الأول**: أهمية الرابطة عند الصوفية والجدال حولها وإمكانية الإستفادة من الميتافيرس كبديل منها. **الثاني**: نظرية الخيال كالمنطلق الرئيسي للرابطة والميتافيرس. **الثالث**: الحضور والهوية بين الصوفي في خياله والعالم الميتافيرس في منظور علم النفس.

مفهوم الرابطة الصوفية

١. أهمية الشيخ المرشد

وجود الشيخ او المرشد في التراث الصوفي له غاية الأهمية. وبالنظر إلى العقبات التي يلاقي السالك في سلّم المقامات، فلامندوحة له إلا بالتربية أمام شيخ مرشد قد أذن له مرشد آخر قبله وحصل على إجازة منه للإرشاد. فالشيخ يربي المريدين في سلوكهم ويدلهم على طريق السعادة الأبدية. فوجود الشيخ في التصوف

السني حد فاصل عن عرفان شيعي. ففي العرفان لايوجد شرط التربية على يد مرشد بمعناها المتداول لدى الصوفية، يكتفي العرفاء بتأملاته الطويلة المدى حتى وصلوا إلى مقام المشاهدة كما يزعمون.

وقد نبه عبد الغني النابلسي أهمية المرشد عند شرحه لقول الشيخ أبي علي الدقاق قدس الله سرهما: الشجرة التي تنبت بنفسها لاثمرلها وإن كان لها ثمرة تكون بغير لذة. قال النابلسي شارحا له:

كذلك السالك إلى الله تعالى على طريقة الكتاب والسنة من غير شيخ مرشد لا نتيجة لسلوكه ولاثمرة له، ولئن أنتج سلوكه وأثمر تكون ثمرته أقل الثمار وحظه أدنى الحظوظ لأنه يكون مكلِّفا نفسَه تربيةَ نفسها، كالمريض إذا كلف نفسه معالجة نفسه فإنه وإن شفي بذلك مع المعونة الإلهية لايكون كمن أسلم نفسه المريضة للطبيب الحاذق يقوم عليها بإذن الله. هذا ان سلم ذلك السالك من البدع في سلوكه ظاهرا وباطنا، وإلا فهو هالك، وقال الغزالي رضي الله عنه: فإن قيل هل العلم الذي تعلمه فرض بنظر الإنسان من غير معلم؟ فاعلم ان الأستاذ فاتح والتحصيل معه أسهل وأروح، والله يمن بفضله على من يشاء من عباده فيكون معلمهم.

فكما ان التوالد والتناسل الصوري لايحصل بغير الوالد والوالدة كذلك التوالد المعنوي، الحاصل بين الأرواح والعقول، فالشيخ المرشد للتلميذ المسترشد في التوالد المعنوي والنكاح الروحاني، فإن كان التلميذ في مقام العقل كان شيخه له في مقام الروح فيتولد له شهود الحق.[٣]

٢. الشيخ كالتيار الكهربائي

وأما الأخذ عن الشيخ ففيه الأجر وفيه الوصول معا، لأن فيه سر الإمداد بالبركة وربط المريد بالحبل المحمدي، وذلك أشبه بالتيار الكهربائي لا ينتقل إلا بالموصل. وفي قضية جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم معنى اتخاذ المرشد الهادي (ولكل قوم هاد) والدليل المعلم، وإلا فربما كان يكفي النور الإلهي المنقدح في القلب المحمدي عن مصاحبة جبريل والأخذ عنه. وقد طلب موسى الشيخ المعلم المرشد الهادي الدليل وسعى إليه حتى وجده. وهل يمكن لأي إنسان أن يقرأ القرأن قراءة صحيحة بغير موقف خبير؟ وكذلك شأن جميع

[٣] النابلسي. عبد الغني، مفتاح المعية في دستور الطريقة النقشبندية، ت: الدار الجودية – مصر، ٢٠٠٨، ص ٤٠

الصناعات والفنون واتخاذ الشيخ مما لايتم الواجب إلا به كما رأيت طبعا وشرعا مؤيدا بالواقع العلمي والتاريخي.[٤]

٣. نظرية الصحبة والرابطة

من هذا النظام التربوي الصوفي يأتي نظرية الصحبة بين المريد وشيخه كما أن النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث بالغار وينزل عليه جبريل عليه السلام صاحبا ودليلا له في الطريق إلى الله، ويأتي على مثل هذا المنوال أبوبكر الصديق بعده صاحبا له صلى الله عليه وسلم. فالصحبة إذا لها معنى فريد في التربية الصوفية: لا يكتفي المريد السالك بمجرد تلقي العلم أمام شيخ، بل لابد من صحبة وربط قلبي مع شيخه على وجه المحبة والتعظيم.

ولابد للمريد من مراعاة آداب الصحبة ظاهرا وباطنا كي يحصل المطلوب، وذلك متعسر. وأما بحسب الباطن –وهو الرابطة القلبية– فلا تنقطع أصلا لمن راعاها. من هنا، قسم النقشبندية الصحبة على نوعين: صحبة بحسب الظاهر وصحبة بحسب الباطن، ويسمى الأخير عندهم رابطة يعني إرتباط المريد بالشيخ بحسب المحبة والعلاقة المعنوية الروحانية وكيفيتها: إستحضار صورة الشيخ في خياله وملاحظة معيته المعنوية.[٥]

٤. الرابطة من اجتهادات أئمة التصوف

كما اجتهد أهل كل علم في تطبيق علومهم اجتهد هؤلاء السادة، فطبقوا قواعدهم هذه المؤيدة بالنقل والعقل والكشف والذوق والتجربة: [٦] وتخيل صورة الشيخ ليست شرطا، ولكنها من الوسائل الإجتهادية والتجربة النافلة، وهو أيضا نوع من العلاج ووسائل التصفية والتنقية... فلاشرك ولاخوف من شرك. وفي هذا الموضوع بحوث نفسية عميقة، وذلك أشبه بما يخطر على بال المصلي من أخيلة الجنة والنار والإنس والجن وأهوال الحشر وعظمة الله، وهذه الصور لاتبطل الصلاة ولا تُتهم بالوثنية: فالموقف هنا وهناك واحد والحكم واحد، فقد انتفت دعوى الوثنية التي يُرمى بها الصوفية تهورا ومجازفة.[٧]

[٤] إبراهيم. محمد زكي، أصول الوصول أدلة أهم معالم الصوفية الحقة، ت: سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية -القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٦٠

[٥] الكاشفي. حسين بن علي، رشحات عين الحياة في مناقب مشايخ الطريقة النقشبندية، ت: دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٨، ص ٥٤٦

[٦] إبراهيم، محمد زكي، أبجدية التصوف بعض ماله وما عليه، ت: سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية، ٢٠٠٥، ص ١٨٦

[٧] إبراهيم. محمد زكي، أصول الوصول أدلة أهم معالم الصوفية الحقة، ت: سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية -القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٥٢-٥٣

وقد انتهج هذا المنهج كلٌّ من النقشبندية –بل اعتبرها من أركان الطريق الثلاثة عندهم– وبعض الشاذلية عند الذكر والجنيدية في شروطهم الطريق الثمانية وأتباع الصديقية ثم الطريقة المحمدية المنسوبة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ أبو سالم العياشي رحمه الله: ووجه احتصاصها بالإنتساب إليه صلى الله عليه وسلم مع أن الكل راجعة إليه ومستمدة منه أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهاج الإستقامة المبين في الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى ان تستولي على قلبه مشاهدته ويصير تمثاله بين عيني بصيرته فيسبغ الله عليه نعمه ظاهرا وباطنا ولا يجعل لمخلوق عليه منة إلا للنبي صلى الله عليه وسلم فيراه يقظة ومناما. كانت المحمدية طريقة صعبة عند عدم الشيخ أو أخ ناصح وقلما يسلم من فتح له بدون شيخ.[٨] ولايخفى أن استحضار صورة النبي صلى الله عليه وسلم نتيجة قراءة شمائله الخَلقية والخُلقية، خلاف رابطة الشيخ، فافهم.

٥. أنواع المربوط عليه

تبين مما سبق أن الرابطة لها مكان خاص عند الصوفية مع اختلاف بعض الطرق بالمربوط عليه. منهم من جعل وجه شيخه في الرابطة ومنهم من جعل النبي صلى الله وسلم توجهه ومنهم من جمع التوجه إلى الله. لا منافاة في هذه الثلاثة، فإنه إن دل على الله كان ذلك غاية المطلوب؛ وإن دل على النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك جمعا على الله، لأنه صلى الله عليه وسلم الخليفة المطلق عن الله ظاهرا وباطنا، فالمجتمِع عليه مجتمِع على الله تعالى، أو دل الشيخ بالجمع على نفسه فهو خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في الدلالة على الله والدعوة إليه، فجمع الناس على نفسه جمع على الله لأنه خليفة صحيح.[٩]

٦. الرابطة من أنواع الوسائل المشروعة

الوسيلة مشروعة في الإسلام، قال تعالى (يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة). ينبغي للعاقل أن يستعين في جميع أموره بجناب الحق سبحانه وتعالى... دنياوية كانت أو دينية عاجلة أو آجلة،

[٨] السنوسي. السيد محمد بن علي، السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، ت: مطبعة المعاهد - القاهرة، بدون سنة، ص ٦-٨
[٩] لخاني. قاسم بن صلاح الدين، السير والسلوك إلى ملك الملوك، ت: مطبعة الثقافة الدينية – القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٥٣

لكن لابد من نوع الملائمة والقرب المعنوي بين المفيض والمستفيض، ولكوننا متعلقين غاية التعلق بالعلائق البشرية والعوائق البدنية، وكونه تعالى في غاية التقديس تكون الملائمة منتقية رأسا.[١٠]

فاحتاجْنا في سلوك الإستفاضة من الله تعالى إلى المتوسط الذي يكون له وجه تجرد ووجه تعلق: بوجه التجرد يستفيض من الله وبوجه التعلق يفيض علينا. وهذا المتوسط هو النبي صلى الله عليه وسلم. ولما كانت ملائمة الأصحاب والآل أكثر من ملاءمتنا له. وملاءمتنا للآل والأصحاب أكثر من ملاءمتنا له عليه الصلاة والسلام، كلما كانت الملاءمة أكمل وأوفر كان أمر الإستفاضة أتم وحصول الإفاضة أكثر. ولا شك أن ملاءمتنا بالمشايخ الكرام أكثر من ملاءمتنا بالآل والأصحاب العظام فضلا بالنبي صلى الله عليه وسلم.[١١]

من الملائمة تفيض الإمداد الرباني فاختار بعض الطرق الصوفية رابطة الشيخ وسيلة مشروعة للوصول إلى الله تعالى؛ كما أن الوسيلة مؤقتة فكذلك الرابطة، يعني أن المريد يبدأ دخول الحضرة الإلهية بتصور من كان سببا في صلته بالله وفاءً له وتبركا به، ثم هو يفنى بعد هذا من ذهنه وتصوره بمجرد اندماجه في الذكر.[١٢]

٧. بعض منافع الرابطة

للرابطة منافع منها: دافع غواية الشيطان أن استحضار صورة الشيخ درع دافع لأسباب غواية الشيطان وسبب جامع للإنتظام في سلك شريف، قال التستري: إن الله ينظر إلى قوم كفاحا وإلى قوم من صدور قوم فتحببوا إلى أولياء الله ليلنظر الله إليكم في قلوبهم فيرحمهم. أو كما قال محمد زكي إبراهيم أن الرابطة نوع من الإستصحاب الروحي لطرد الشيطان والخواطر الصارفة. لأن رؤية الشيوخ تفضي إلى ذكر الله؛ وهم قوم إذا رُؤُوا ذُكرالله.

ومنها أنها عبارة عن صدق المحبة للشيخ وأن استحضار صورة شيء فرع محبته لقوله صلى الله عليه وسلم من أحب شيئا أكثر من ذكره. فاستحضار صورة الشيخ فرع محبته، حتى يأتي الحب من عند شيخه له، فإن للشيخ جاذبا باطنيا وإن محبة الشيخ للمريد إذا اتصلت أشعلتها بالمريد تحوشه إلى الشيخ وتحوطه من كل قاطع، فإذا دامت دام الإتصال وإذا انقطعت وقع الإنفصال.

[10] Muslihun, M. (2018). جدل الدين والتدين والسياسة في الفتاوى الدينية. *Dirosatuna: Journal of Islamic Studies*, *1*(2), 80-93. https://doi.org/10.31538/dirosatuna.v1i2.138

[١١] الكاشفي. حسين بن علي، رشحات عين الحياة في مناقب مشايخ الطريقة النقشبندية، ت: دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٨، ص ٥٤٥

[١٢] براهيم، محمد زكي، أبجدية التصوف بعض ماله وما عليه، ت: سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية، ٢٠٠٥، ص ١٢١

ومنها أن الرابطة من أنفع أساليب التربية الروحية الصوفية، وقد ثبت عندهم مثل هذا الأسلوب التربوي كما يقع لسيدنا أويس القرني حتى اشتهر عندهم باسم التربية الأويسية. فإن أويسا القرني سيد التابعين وأفضلهم، تربّى على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم روحا، لأنه لم يحظ بلقاءه صلى الله عليه سلم بسبب بِرّه بأمه.

وزعم الصوفيون أن وقد وصل بها خلق كثير تربيةً وترقيةً كالشيخ أبي يزيد البسطامي فإنه تكمل بروحانية سيدنا جعفر الصادق، والشيخ بهاء الدين النقشبندي فإنه ترقي بالشيخ عبد الخالق الغجدواني وكالشيخ أبي الحسن الخرقاني فإنه تسلك بأنوار روحانية أبي يزيد البسطامي.[١٣]

لايقتصر الصوفيون على المرشدين الأحياء، بل قد يكون للمريد ملاحظ (مرشد) من الأرواح القدسية كالملائكة وأهل البرازخ الشريفة من نبي او ولي او صالح يرشده شعر به ام لا. لأن الموت عند المجتمع الصوفي ليس فصيلا، بل هو انتقال من عالم إلى آخر، حتى يتسنى لهم اللقاء والمكالمة فيما بين الأحياء والأموات.

وأكد ذلك أكبر المفسرين العصريين بمصر والعالم الإسلامي الشيخ متولي الشعراوي ان مثل هذا ممكن الوقوع عقلا وشرعا، مستندا في إثباته بحديث المعراج: فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم لقي الأنبياء في معراجه وتكلم معهم كموسى عليه السلام في السماء الثانية، بل أمره موسى بطلب التخفيف بالصلوات الواجبة على أمته حيث بقيت خمس صلوات في اليوم والليلة.

قال الشعراوي رحمه الله: في بلد عربي سألني بعضهم: أنت تتكلم عن الأولياء وتحكي عن وقائع وحكايات لاسند لها. فقلت لهم: تعالوا نتجادل جدل العلماء لاجدل العوام، أنتم تؤمنون بالمعراج؟ قالوا نعم. قلت: هل تؤمنون ان النبي صعد وقابل موسى ليلة المعراج وتكلم معه؟ قالوا نعم. قلت لهم: موسى ميت بقانون الأموات ومحمد صلى الله عليه وسلم حي بقانون الأحياء. (أبو العينين، بدون عام: 68-67)

الميتافيرس كبديل للرابطة

إذا كانت الرابطة بتلك المكانة لدى المجتمع الصوفي؛ وهي بمفهومها المتبادر في ذهن كل أحد "إستحضار" أو "تخيل" صورة شيخه في حال خاص على وجه خاص، فهل من الممكن أن يستعين الصوفي

[١٣] السنوسي. السيد محمد بن علي، السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، ت: مطبعة المعاهد - القاهرة، بدون سنة، ص ٤٩

المعاصر بالميتافيرس حال الربط؟ هذا ما يشغل بالي في هذه الأونة الأخيرة. وقد سبقهم المسيحيون في استخدام الميتافيرس عند ممارسة طقوسهم في الكنيسة.[١٤]

١. تطور الميتافيرس

والميتافيرس كما أخبرت لنا المصادر تتوسع بسرعة، كما رأينا في Geppetto التي تخدم ٢٠٠ مليون مشترك و Animal Crossing تدير حملة انتخابية في مساحة افتراضية. على وجه الخصوص، يبلغ عدد المستخدمين النشطين شهريًا 150 مليونًا في Roblox، يستخدمها ثلثي الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١٢ عامًا في الولايات المتحدة، وثلثهم أقل من ١٦ عامًا. تركز الدراسات المبكرة لميتافيرس على Second Life في عام ٢٠٠٦. ومع ذلك، فإن الميتافيرس الحالي يعتمد على القيم الاجتماعية للجيل Z التي لا تختلف الأنا عبر الإنترنت عن تلك الموجودة في وضع عدم الاتصال.

تم تقديم الميتافيرس سابقًا استنادًا إلى الوصول إلى جهاز الكمبيوتر وكان لديه قبول منخفض بسبب قيود الوقت والمكان، ولكن من الممكن الآن الوصول بسهولة إلى الميتافيرس في أي وقت وفي أي مكان بسبب الأجهزة المحمولة التي يمكنها الاتصال بالإنترنت في جميع الأوقات. يوجد ٥٠ مليون لعبة في Roblox ويبلغ وقت الاستخدام الشهري التراكمي ٣ مليارات ساعة. يستهلك الأشخاص وقتًا أطول من خدمات الشبكات الاجتماعية (مثل TikTok و YouTube). يحتوي على نظام إيكولوجي فعال للدورة يزداد فيه تدفق ودخل المنتجين مع زيادة المستخدمين ووقت الاستخدام أثناء تقديم محتويات مختلفة، وبالتالي زيادة مبيعات الإعلانات الرقمية. أخيرًا، يختلف الميتافيرس الحالي عن السابق لأنه يمكن إجراء تشفير البرنامج في عالم الميتافيرس، وهو أكثر ارتباطًا بالحياة الواقعية. تتوسع الميتافيرس مع معانٍ اجتماعية مختلفة (على سبيل المثال، الموضة والحدث والألعاب والتعليم والمكتب) بناءً على التفاعل الغامر. تعمل العملات المشفرة (على سبيل المثال، Cryto) كجسر اقتصادي بين الميتافيرس والعالم الحقيقي، مما يمنح الناس معنى اجتماعيًا أعمق.

يختلف الميتافيرس عن الواقع المعزز (AR) والواقع الافتراضي (VR) بثلاث طرق. أولا، في حين أن الواقع الافتراضي تركز الدراسات على النهج المادي والتقديم، تمتلك الميتافيرس جانبًا قويًا كخدمة ذات

[14] Putra. Bobby Hartono, Tinjauan Teologis Ibadah dalam Metaverse di Era Pandemi dan Kemajuan Teknologi, Sintax Literate: Jurnal Ilmiah Indonesia, 2022, 5791

محتوى أكثر استدامة ومعنى اجتماعيًا. ثانيًا، لا تستخدم الميتافيرس بالضرورة تقنيات AR و VR. حتى إذا كانت المنصة لا تدعم VR و AR، فيمكن أن تكون تطبيق الميتافيرس. أخيرًا، تمتلك الميتافيرس بيئة قابلة للتطوير يمكنها استيعاب العديد من الأشخاص وهو أمر ضروري لتعزيز المعنى الاجتماعي.[١٥]

٢. الرابطة والميتافيرس

الميتافيرس كغيره من منتجات الحداثة او المعاصرة مما لاسبيل للتخلص منه. إنه تدخّل بالكاد في جميع أطوار الحياة الإنسانية إجتماعيا واقتصاديا وفنيا وسياسيا بل ودينيا. والرابطة الصوفية المستندة إلى قوة الخيال في تخيل صورة الشيخ يمكن ممارستها بالميتافيرس. ولكن الإشكالية الكبرى تأتي من قبل الصوفية نفسها، هل عندهم قابلية واستعداد لاستقبال المعاصرة بما فيها من تقدم العلم والتكنولوجيا كالميتافيرس؟

على الوجه الأمثل أن يكون الصوفية من أشد الناس إبتعادا عن الحداثة ومنتجاتها بحجة أنهم تركزون الحياة الروحية أكثر من الجسمية. فلا غرابة كأن رأينا الصوفية في مكان ومنتجات المعاصرة في مكان آخر. ولو كان الواقع الصوفي الآن لايصدق هذا الأمر بالمرة، كيف ورأيناهم يلبسون أفخر الملابس ويركبون أحدث السيارات ويستخدمون أكثر الهواتف تقدما وهلم جرا، لاعتقادهم أن الدنيا سم قاتل لمن جعلها في قلبه ولا تضر لمن جعلها في يديه كما قال سلطان الأولياء الجيلاني: ضع الدنيا في يدك ولا تضعها في قلبك فإنها لا يضرك.

إذا كانت الرابطة هي استخضار صورة الشيخ، فممارستها بالميتافيرس ممكنة ويحوز المريد أكثر مما يتصوره الخيال. لأن الميتافيرس أكثر إرتباطا بالحياة الواقعية، والصحبة المطلوبة تحققت مهما بعدت المسافة؛ وهي الصحبة الباطنة شبه الظاهرة حيث لايكلف السالك المريد بتلك الآداب التي تجب مراعاتها وهي متعسرة وقل من ينجو عند الصحبة الظاهرة. لأنها تتطلب همة أبي بكر الصديق وجبل يقينه. هذا من جهة.

٣. الخيال الصوفي ذو مفهوم شرعي

[15] Sang-Min Park & Young-Gab Kim, A Metaverse: Taxonomy, Components, Applications, and Open Challenges, IEEE Access, Vol. XX, 2017, h. 93

ومن جهة أخرى يبقى سؤال هام: هل الخيال الصوفي يمكن إبداله بالميتافيرس؟ الإجابة تحتاج إلى معرفة الخيال ومفهومه الفلسفي والصوفي.

الخيال عند الفلاسفة –كما نقل إلينا الكندي– قوة من قوى النفس متوسطة بين الحس والعقل هي المسمي بـ "المصورة" عند فلاسفة العرب و "فنتاسيا" عند اليونان. والفرق بين الحس والمصورة أن الحس ينال صور محسوساته في مادة، على حين أن المصورة تدرك الأشياء المحسوسة بلا مادة وفي غيبة المحسوسات.

والمصورة تعمل في اليقظة كما تعمل في النوم، إلا أنها في النوم أظهر. والدليل على أن الشخص المستيقظ تتمثل له صور المحسوسات إذا استغرق في التأمل، وكلما كان انشغاله أعظم كانت الصور أظهر وأوضح.

وليس الإستغراق في التفكر والتشاغل عن الأشياء سوى (ترك استعمال الحواس) فإذا تم الإنقطاع عن الحواس انتهى الأمر بالمفكر إلى النوم (وصار قوته المصورة هي أقوى ما يكون على إظهار فعالها).[١٦]

من هنا، يتبين أن الميتافيرس لا يكون بديلا عن الخيال –كقوة آلية للرابطة– لبقاء الحواس حال استخدامه، بينما الرابطة هي المران لترك استعمال الحواس، بدليل اشتراط تغميض العينين وإلصاق الشفة بالشفة واللسان بسقف الحلق حال الرابطة بل وسد الباب وإطفاء السراج للمبتديء.[١٧] ثم أن الصور المتخيلة في الفنتاسيا تكون أظهر وأوضح في النوم بينما الخيال الصوفي عكس ذلك. ففرق!

الخيال في التراث الصوفي له مفهومه الخاص. وهو ليس الفنتاسيا بل الخيال ذو مفهوم شرعي تم إرساؤه على يد الشيخ الأكبر ابن عربي. بينما الفنتاسيا هي عبارة عن لعبة للفكر ولا أساس لها في الطبيعة فهي ليست إلا "حجر الزاوية لدى المجانين". [١٨]

الخيال عند ابن عربي هو عالم البرزخ، تنزل المعاني فيه في الصور والقوالب الحسية؛ فليست من عالم الغيب لما لبسته من الصور الحسية، وليست من عالم الشهادة لأنها معاني مجردة كحضور جبريل عليه السلام أمام النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي (صحابي جليل) وتمثله لمريم أم عيسى عليهما السلام

[١٦] الأهواني. فوءاد، الكندي فيلسوف العرب، ت: وزارة الثقافة والإرشاد القومي -مصر، ١٩٦٤، ص٢٤٩
[١٧] الكردي. محمد أمين، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، ت: الحرمين- إندونيسيا، ٢٠٠٦، ص ٥٢١
[١٨] كوربان. هنري، الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، ت: منشورات مرسم - الرباط مغرب، ٢٠٠٦، ص ١٥٧

في صورة بشر سوي. فحضرة الخيال أوسع الحضرات جوداً لأنها تجمع العالمين، فهي مجمع البحرين: بحر المعاني وبحر المحسوسات.[١٩]

حضرة الخيال ليس مجرد تجربة نفسية (فسيولوجية) بل هي معرفة إلهية وذات أصل ديني شرعي. يتجلى ذلك في مثال أورده الغزالي في مشكاة الأنوار: إذا قال عليه الصلاة والسلام (رأيت عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة حبوا) فلا تظن أنه صلى الله وسلم لم يشاهده بالبصر، بل رآه في يقظته كما يراه النائم في نومه، وإن كان عبد الرحمن بن عوف نائما في البيت بشخصه.

فهذا يعرفك كيفيةَ إبصارَ الأنبياء الصور وكيفية مشاهدتهم المعاني من وراء الصور. والأغلب أن يكون المعنى سابقا إلى المشاهدة الباطنية ثم يشرف منه على الروح الخيالي، فينطبع بصورة موازية للمعنى محاكية له.

٤. خواص الخيال

والروح الخيالي عند الغزالي له خواص ثلاثة: أحدها أنه من طينة العالم السفلى الكثيف لأن الشيء المتخيَّل ذو مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة، وهو على نسبة من المتخيِّل من قرب أو من بعد الثانية: أنه إذا صفي ورُقّق وهُذّب وضبط صار موازيا للمعاني العقلية محاذيا لها غير حائل عن إشراق نور منها. والثالثة: أن الخيال في بداية أمره محتاج إليه (نور) جدا، لتنضبط له المعارف العقلية فلا تضطرب ولا تتزلزل.[٢٠] يعني أن الخيال مبدأه من الواقع أي من طينة العالم السفلى مهما كان وجوده البرزخي عند ابن عربي.

٥. للخيال حالان

إن للخيال حالين عند ابن عربي: حال اتصال وحال انفصال. والفرق بينهما أن المتصل يذهب بذهاب المتخيِّل، والمنفصل حضرة ذاتية قابلة دائما للمعاني والأرواح والخيال المتصل على نوعين: منه ما يوجد عن تخيل، ومنه مالا يوجد عن تخيل كالنائم وما يراه من الصور في نومه. [٢١]

19 الغراب. محمود، الخيال عالم البرزخ والمثال من كلام الشيخ الأكبر، ت: دار الكاتب العربي –١٩٨٤، ص ١٣
20 الغزالي. أبو حامد، مشكاة الأنوار، ت: دار الإمام الشاطبي -مصر، ٢٠١٠، ٢٨٠
21 الغراب. محمود، الخيال عالم البرزخ والمثال من كلام الشيخ الأكبر، ت: دار الكاتب العربي –١٩٨٤، ص ١٤

فحال خيال السالك في الرابطة هو خيال المتصل من نوع أول وهو ما يوجد عن تخيل. فالخيال المتصل إذاً مما يكتسب به ويسعى إليه بل ويتكلف المريد في أول الأمر حتى يصير ديدنه فينطبع الشيء المتخيَّل بسهولة، بخلاف المنفصل. وقد يندرج الخيال المنفصل في الخيال المتصل كدخول جبريل على النبي عليهما الصلاة السلام بصورة دحية أوصورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر. فالمسمى بقوة الخيال في الإنسان هي الخيال المتصل؛ وبها يدخل حضرة الخيال المنفصل في اليقظة والمنام.

من ذلك نعرف أهمية الخيال في التراث الصوفي ومفهومه الخاص لديهم، وهو خيال ذو مفهوم شرعي ودليل شرعي. وصار الخيال الصوفي الخلاق قوةً دون العقل والحواس في اختراق الملكوت واكتشافها بداية من بابها المتمثل في صورة شيخه. لأن كل ما يتمثل في محل الخيال فيتصور ان يتمثل في محل الإبصار فيكون ذلك مشاهدة. [٢٢]

بالطبع أن الخيال كقوة فعالة لممارسة الرابطة له مبدأ من الواقع لأن الصور المتخيَّلة منشأها من الواقع، هذا مايفسح المجال للإلتقاء مع الميتافيرس الذي له إرتباط قوي بالواقع. ولكن من جهة أن الرابطة تسعى إلى ترك استعمال الحواس وتنمية قوة الخيال، هذا مايضاد الميتافيرس لما بقي معه الحواس.

وبالجملة، إذا نظرنا إلى الصورة المتخيَّلة فالرابطة في عالم الميتافيرس ممكنة، وإذا نظرنا إلى القوة المتخيِّلة فالرابطة في واد وعالم الميتافيرس في واد آخر. إضافة إلى ذلك، أن الرابطة لها غاية سامية عالية وهي الصحبة كأحد أركان الطريق الموصلة إلى الله في النقشبندية أو وسيلة في الذكر للوصول إليه تعالى في الطرق الأخرى.

الحضور والهوية بين الصوفي في خياله والعالم الميتافيرس في منظور علم النفس

بقيت الآن إشكالية أخرى وهي: هل الشعور النفسي والحضور والهوية في خيال الصوفي مساو للتجربة الميتافيرسية؟

حسب الدراسات المعاصرة أن إحساسًا معينًا يؤكد بالتواجد في البيئة أو الوجود الافتراضي بشكل أفضل من خلال ثلاثة عوامل متميزة: وهي الوجود المكاني (الشعور بوجوده في العالم الافتراضي)، والواقعية (الاتساق بين الظاهري والعالم الحقيقي) والمشاركة (التركيز على العالم الافتراضي). كما وصفه ريفا وآخرون.

[22] الغزالي. أبو حامد، مشكاة الأنوار، ت: دار الإمام الشاطبي -مصر، ٢٠١٠، ص ٤٠٩

وفي دراسة نُشرت مؤخرًا، قام ٣٤ مشاركًا بملء استبانة حول الهوية مرتين، مرة في نسخة ورقية ومرة أخرى مع الصورة الرمزية الشخصية الخاصة بهم في الواقع الافتراضي عبر الإنترنت لـ Second Life على شاشة اختبار افتراضية. اللافت للنظر، كما يتضح من الشكل الأول، أنه لم يتم العثور على فروق ذات دلالة إحصائية بين إصدار الحياة الواقعية والنسخة الافتراضية لأي سمة شخصية.

من هذه، استنتج الباحثون أنه عندما يتعلق الأمر بالانبساط والود فإن الشخصية الافتراضية لا تختلف عن الشخصية الحقيقية في الحضور، أو بعبارة أخرى، لا يوجد شيء اسمه شخصية افتراضية متميزة. [٢٣] سيما جيل Z الذي أمضى معظم الأوقات أمام الشاشة. وفي المقابل، عندما يتعلق الأمر بالسلوكيات المنحرفة فالشخصيتان مختلفتان؛ ترى الشخصية الإفتراضية قد لا تنضبط، منهم من يكظم الغيظ في الإنترنت حياء ومنهم من لايكظم دون حياء البتة.

ولاسيما أن الميتافيرس مؤيد بالواقع المعزز وبالواقع الإفتراضي اللتان تساعدانه أقرب إلى الواقع. ولكن لايغفل القارىء أن الأدوات الافتراضية كائنات خارجية وتصبح جزءاً من جسم الإنسان وعقله، تمامًا كما تصبح عصا الأعمى امتدادا لنشاطه الحسي. فليس الميتافيرس بنفس الإنسان، بل هو كائن خارجي يؤثر سلوك المستخدم كما لم تعد عصا الأعمى شيئا له، ولم يعد إليه على أنه نفسه.[٢٤]

وأخيراً، كيف بالصوفي حال استخدام الميتافيرس للدخول في الرابطة مع شيخه؟ الجواب عن ذلك يحتاج إلى بحث جاد ودراسة عميقة خصوصا على المشاركين الصوفيين أنفسهم فيصير ذلك تجربة جديدة لهم. وقد أثبت علم النفس الحديث أن سلوكيات الناس في الميتافيرس كعالم افتراضي لاتختلف بالحياة الواقعية؛ والشعور النفسي بالغرابة أمام غريب مثلا تمام الشعور في الواقع المعاش حيث لوحظ أن لقاء شخص مع غريب في عالم الميتافيرس يؤثر فيسيولوجيا إذا تقرب الغريب إليه مسافة ٨ متراً يقول: إليك عني! [٢٥]

[23] Aas. Benjamin Gregor, What's Real? Presence, Personality and Identity in The Real and Online Virtual World, (Virtual World and Metaverse Platform: New Communication and Identity Paradigms), IGI Global, USA, 2012, h. 88
[24] Weis. Stefan Sonvilla, (In)Visible Learning to Act in The Metaverse, Springer Wein, New York, 2008, h. 103-104
[25] Weis. Stefan Sonvilla, (In)Visible Learning to Act in The Metaverse, Springer Wein, New York, 2008, h. 114

الخاتمة

أن طبيعة الميتافيرس الحسية مختلفة تماما مع الرابطة الصوفية بمفهومها الصوفي الذي يكمن ترك الحواس، ولكن لهما منشأ واحد وهو الواقع. لأن الخيال كقوة آلية في الرابطة له مبدأ من الواقع، وهو الصور المتخيَّلة. فالرابطة في عالم الميتافيرس ممكنة في البداية حيث يتنزَّل الصوفي عن مفاهيمه الميتافيزيقيه. وأن الحضور والوعي والهوية في العالم الإفتراضي والعالم الواقعي حاصل فيهما بلا فروق معتبرة.

قائمة المراجع

السنوسي. السيد محمد بن علي، السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، ت: مطبعة المعاهد – القاهرة، بدون سنة

الخاني. قاسم بن صلاح الدين، السير والسلوك إلى ملك الملوك، ت: مطبعة الثقافة الدينية — القاهرة، ٢٠٠٢ م

إبراهيم. محمد زكي، أصول الوصول أدلة أهم معالم الصوفية الحقة، ت: سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية –القاهرة، ٢٠٠٥

_____، أبجدية التصوف بعض ماله وما عليه، ت: سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية، ٢٠٠٥

الكاشفي. حسين بن علي، رشحات عين الحياة في مناقب مشايخ الطريقة النقشبندية، ت: دار الكتب العلمية — بيروت، ٢٠٠٨

الشعراني. عبد الوهاب، الأنوار القدسية في معرفة قواعد التصوف، ت: مكتبة المعارف — بيروت، ١٩٨٨

النابلسي. عبد الغني، مفتاح المعية في دستور الطريقة النقشبندية، ت: الدار الجودية — مصر، ٢٠٠٨

الأهواني. فوءاد، الكندي فيلسوف العرب، ت: وزارة الثقافة والإرشاد القومي –مصر، ١٩٦٤

كوربان. هنري، الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، ت: منشورات مرسم – الرباط مغرب، ٢٠٠٦)

الغراب. محمود، الخيال عالم البرزخ والمثال من كلام الشيخ الأكبر، ت: دار الكاتب العربي —١٩٨٤

الغزالي. أبو حامد، مشكاة الأنوار، ت: دار الإمام الشاطبي –مصر، ٢٠١٠

_____، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ت: دار الإمام الشاطبي مصر، ٢٠١٠

الكردي. محمد أمين، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، ت: الحرمين– إندونيسيا، ٢٠٠٦

السكندري. ابن عطاء الله، لطائف المنن، ت: دار المعارف – القاهرة، ٢٠٠٦

محمود. عبد الحليم، المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، ت: دار النصر للطباعة –القاهرة، ١٣٨٧ هـ

Aas. Benjamin Gregor, *What's Real? Presence, Personality and Identity in The Real and Online Virtual World,* (Virtual World and Metaverse Platform: New Communication and Identity Paradigms), IGI Global, USA, 2012

Buber. Martin, *The Writing of Martin Buber,* Meridian Books, USA, 1956

Heidegger. Martin, *Being and Time,* Blackwell, USA, 2001

https://www.almrsal.com/post/1108414 , ماهي الميتافيرس ؟ .. أو " الكون الماورائي

Jun. Guichun, *Virtual Reality Church as a New Mission Frontier in the Metaverse,* Journal of Transformation, 2020

Muslihun, M. (2018). جدل الدين والتدين والسياسة في الفتاوى الدينية. *Dirosatuna: Journal of Islamic Studies*, *1*(2), 80-93. https://doi.org/10.31538/dirosatuna.v1i2.138

Putra. Bobby Hartono, *Tinjauan Teologis Ibadah dalam Metaverse di Era Pandemi dan Kemajuan Teknologi,* Sintax Literate: Jurnal Ilmiah Indonesia, 2022

Riyadi. Abdul Kadir, *Kajian Atas Wacana Tasawuf dan Keutuhan Sosial Ernest Gellner,* Jurnal Teosofi, Vol. VIII, 2018

Sang-Min Park & Young-Gab Kim, *A Metaverse: Taxonomy, Components, Applications, and Open Challenges,* IEEE Access, Vol. XX, 2017

Sipper. Joshua A., *The Cyber Meta-Reality Beyond the Metaverse*, Lexington Books, London, 2022.

Ulum, M. (2020). Pendekatan Studi Islam: Sejarah Awal Perkenalan Islam dengan Tasawuf. *Al-Mada: Jurnal Agama, Sosial, Dan Budaya*, *3*(2), 203-217. https://doi.org/10.31538/almada.v3i2.632

Weis. Stefan Sonvilla, *(In)Visible Learning to Act in The Metaverse,* Springer Wein, New York, 2008